د. أحمد تيمور

قافية
بين امرئ القيس وبينى

شعر



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٧

قافية بين امرئ القيس وبينى
شـعر
د. أحمد تيمور
الطبعة الأولى
١٩٩٧م

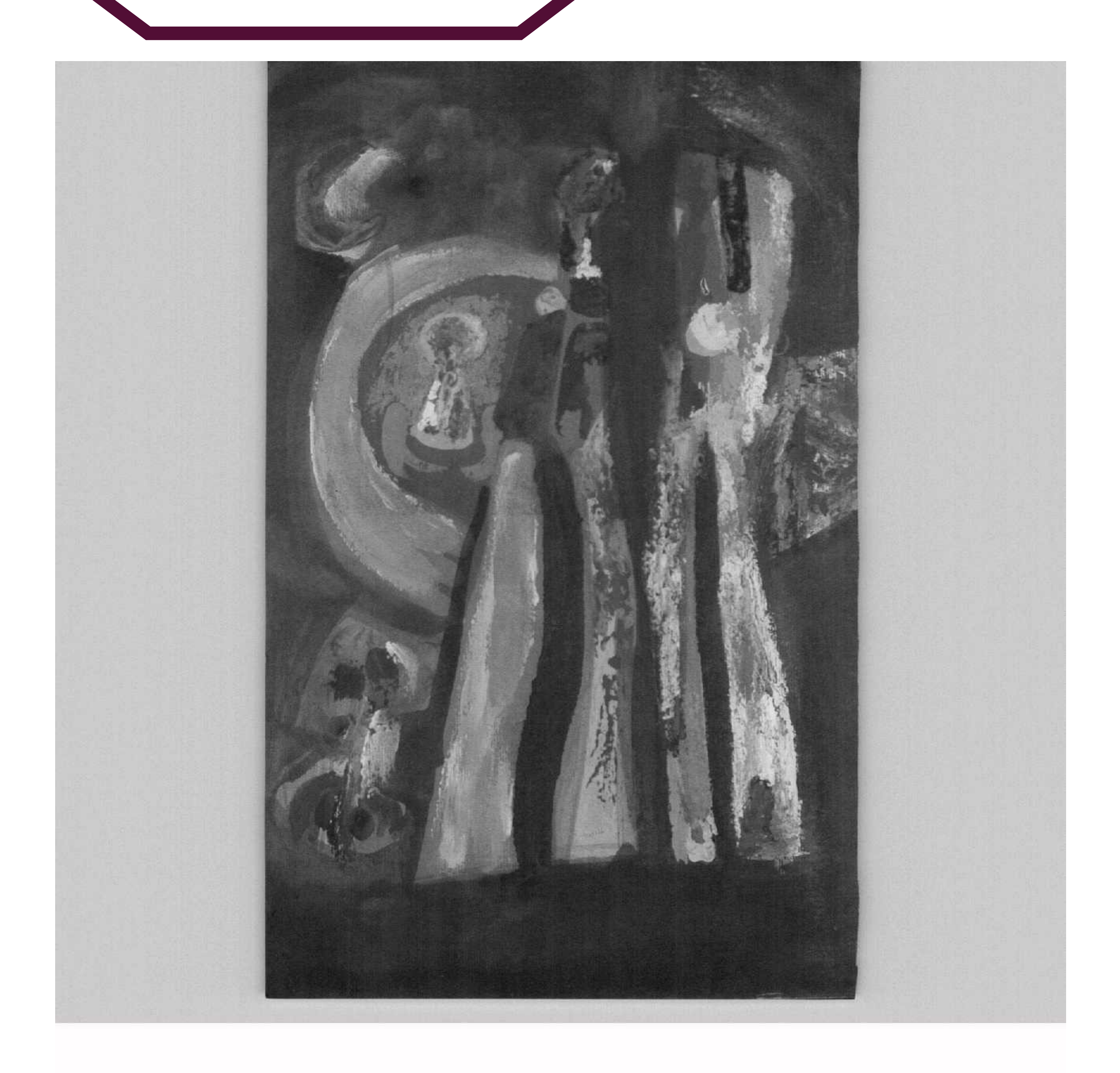


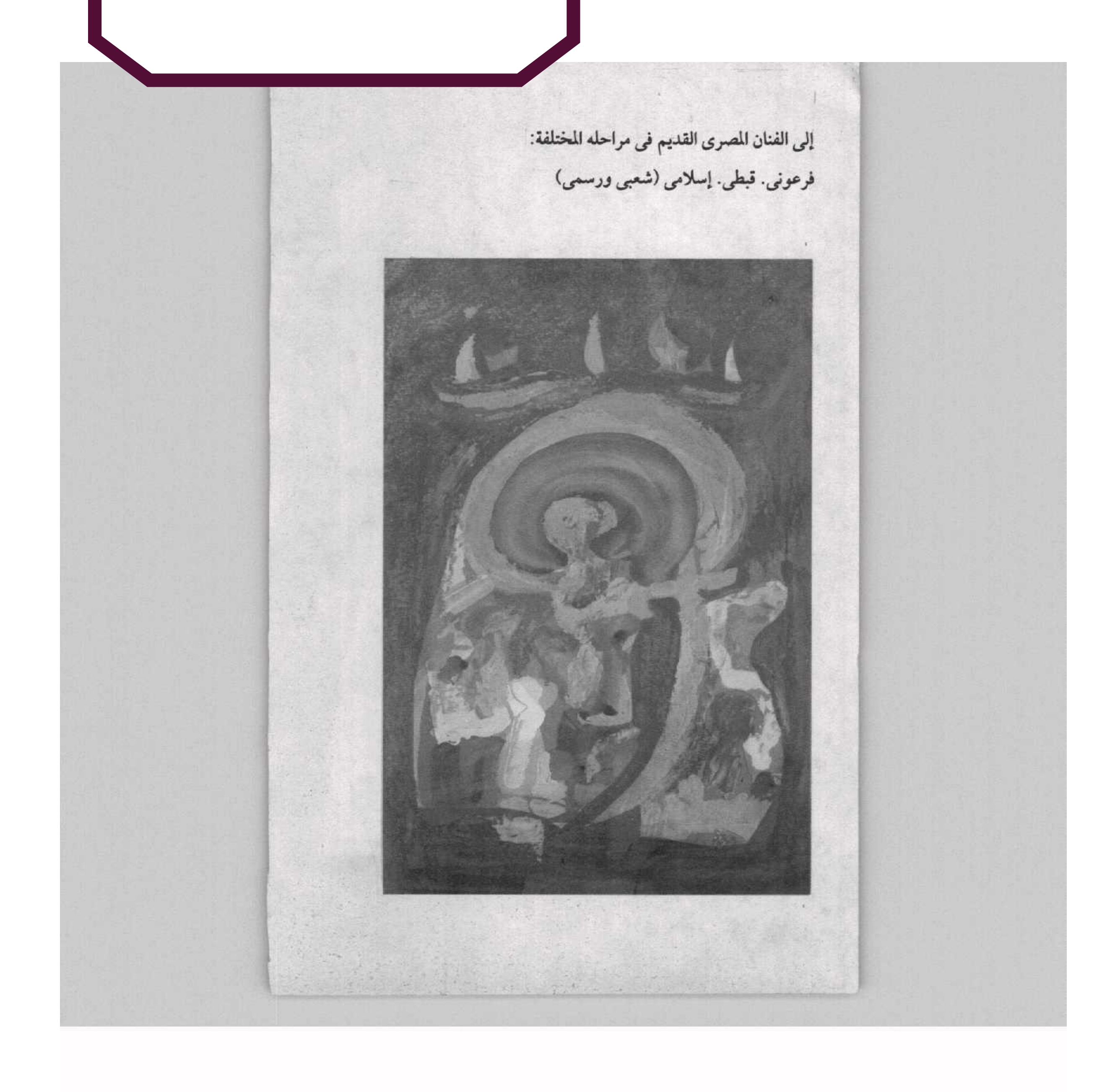
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٩٧/١٠٢٥٦
I.S.B.N 977-01-5426-1

الرؤية التشكيلية
الإنجاز الفنى والجرافيكى
للفنان
محمد الهندى

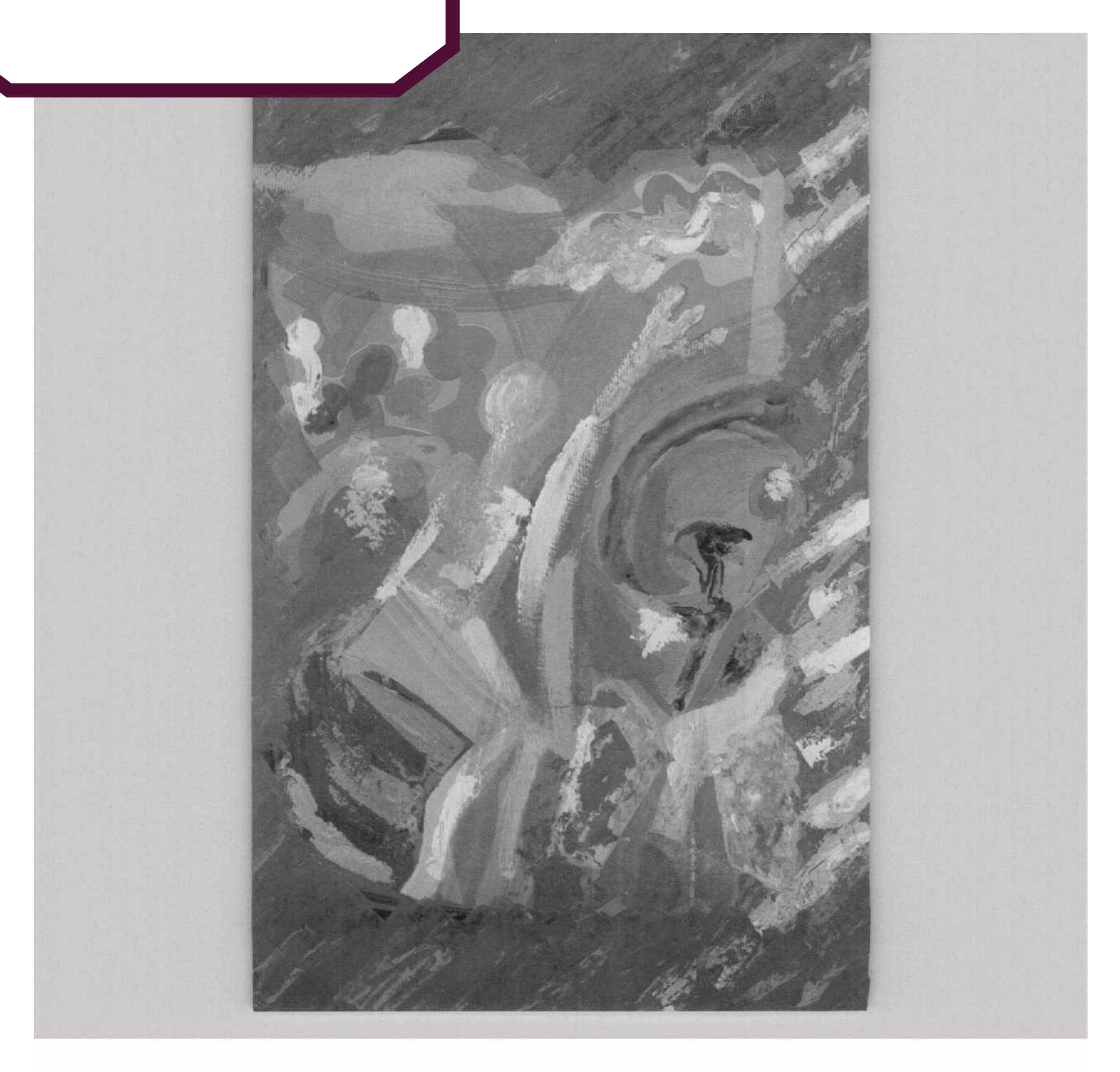
بسم الله الرحمن الرحيم





إلى الفنان المصرى القديم فى مراحله المختلفة:

فرعونى. قبطى. إسلامى (شعبى ورسمى)

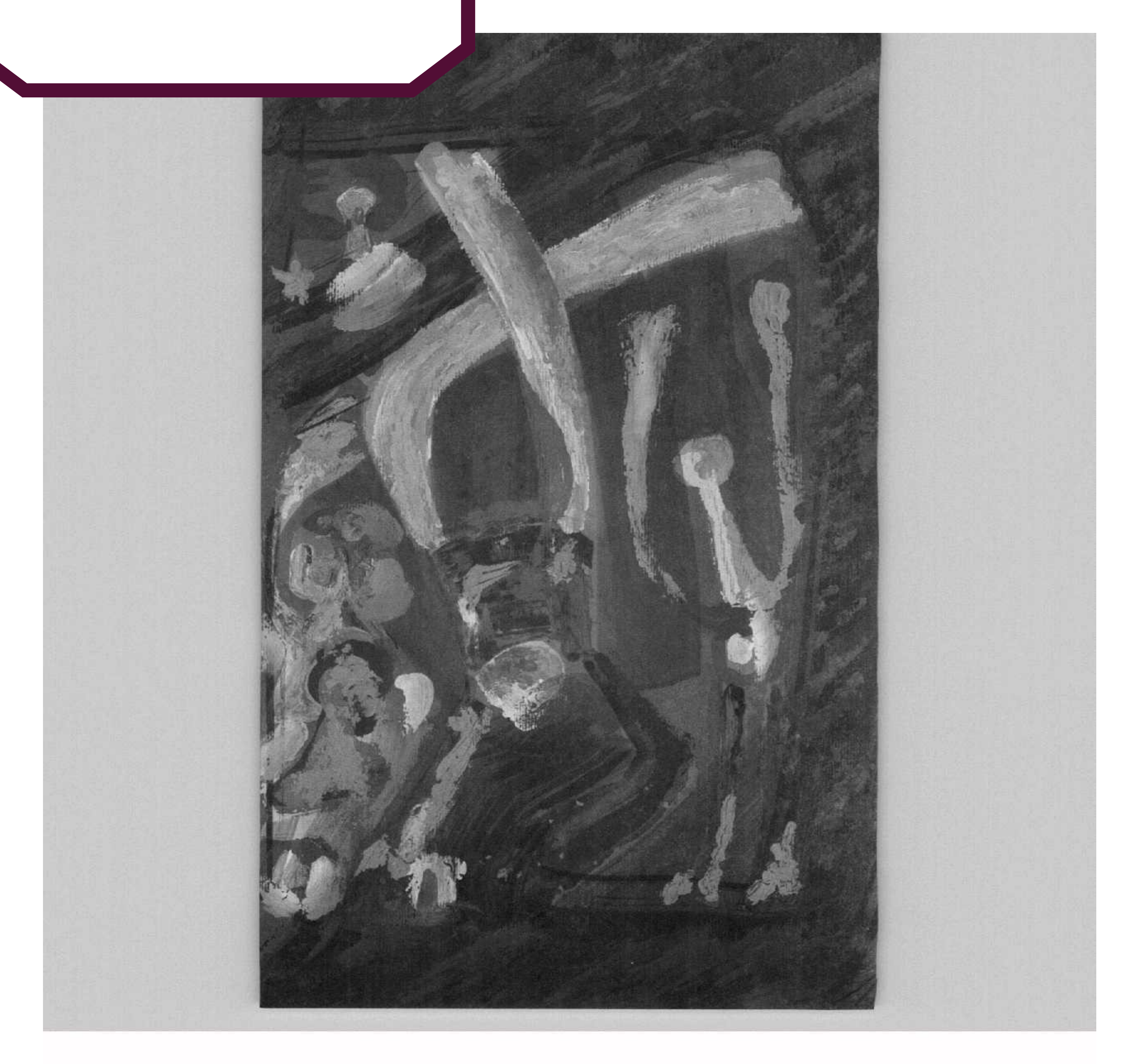


صاحب الأساليب المتعددة المتفردة.
وإلى بابلو بيكاسو. فاسيلى كاندنسكى. خوان ميرو.
وإلى حامد عبدالله. سعيد العدوى. آدم حنين.

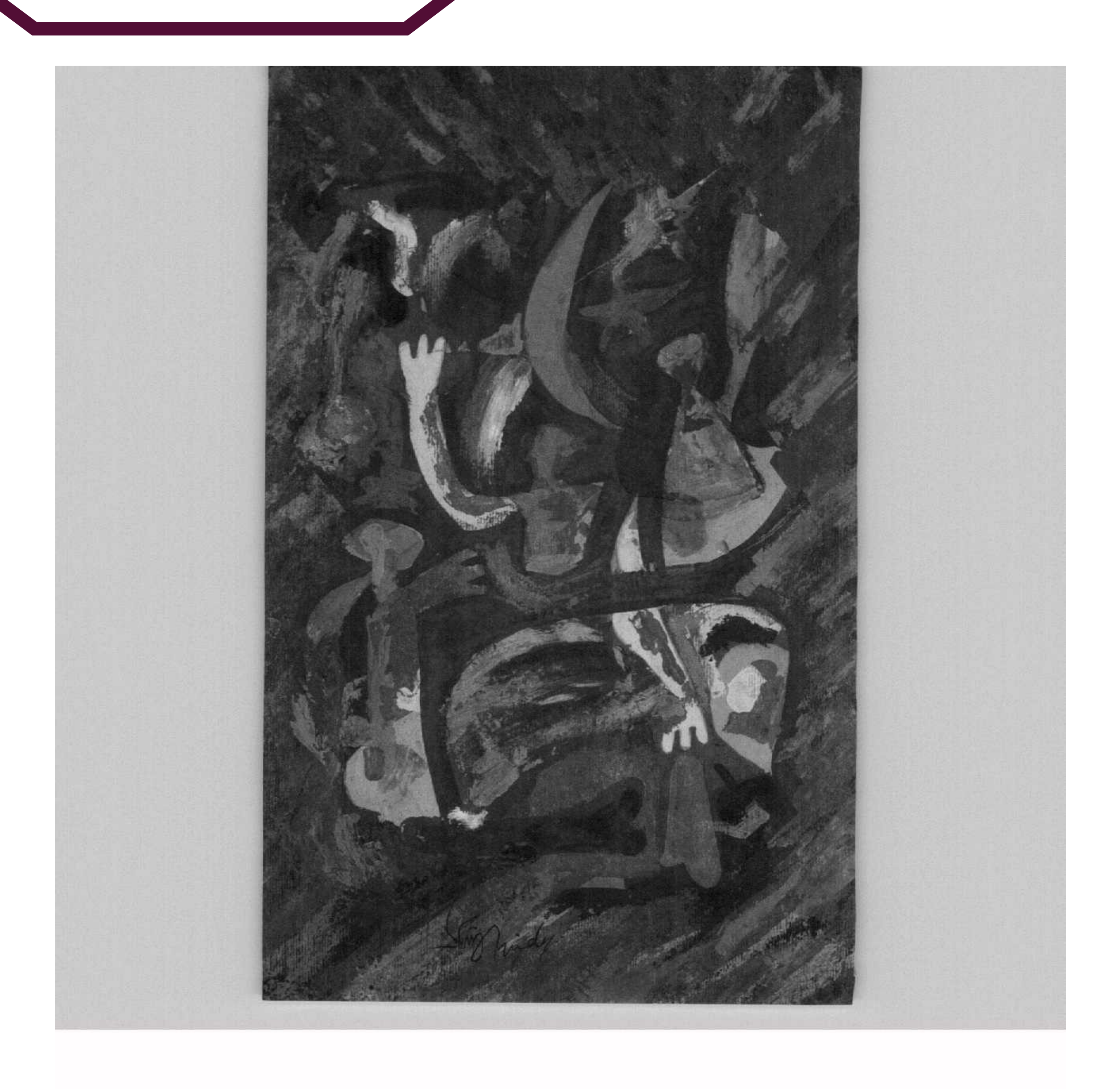




استوحيت روح كل هؤلاء في:
لوحات
قافية بين امرئ القيس وبيني.





















إهـداء

إلى تقيّة الأم والابنة
وإلى مها ومحمد
وإلى نجوى

أحمد تيمور

للقـــــــافِ
وقفتها الرفيقةَ فوق قلبى
ثم رجفتها الرقيقة فى عروقى



القـــــافُ

ساقا زهرةٍحمراءَ

تركضُ فيَّ دمائى

مثل مائى

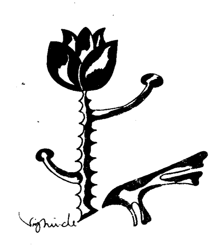
أو حريقى

حين علّمنى شذاها السيرَ

بين الشوكِ والوخزاتِ

ســـــرَتُ

وسار من خلفى طريقى



سرتُ ممشوق القوامِ
محايدَ العينينِ
متَّزنَ الأسى
طلق الخواطرِ
سادراً فى إثر أحلامى
شفيفَ الصوتِ
مرئىَّ الصدى
ولعاً بحنجرتى



بريءَ السمت

لا يبدو على شفتيَّ عشقُ الأغنيَاتِ

مراجعًا للذات

وقَّافاً على اللذَاتِ

محتفياً بحالاتى

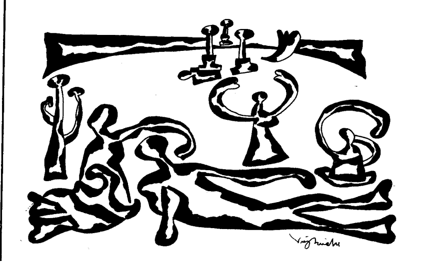
مقيمًا فى الرؤى

تنسابُ من أعماق أعماقى

خيالاتى



حزينـــًا
يتّكى حزنى على أذنى
يشاطرها ضنى الإنصاتِ
للبحر الذى يرتدُّ من خلفَ البواخرِ
فى اتِّجاه جنوب أوربًا
فتتّســع الصحارى
بين ذاك الأزرق الصافى وبينى



آهِ ...
يا ريحَ الشمالِ
لطيبِ إشبيليَّةَ
رئتان يابستانِ في صدري
وأنفٌ ذاكرٌ
ينحو بذاكرتي
إلى الزمن الفراديسيِّ
أرشف من رحيق ترائه المختومِ
يكوي حلقيَ العطشانَ طعمُ الذكرياتِ

حسبْتُنى يا قافُ مندملَ الجراحِ
حسبتنى خلواً من الوجدينِ
وجْد الحالِ
أو وجْد الطريقِ
حسبتُ أنَّ الفاء تاركتى أخيراً
بعدما أسلمتُها نفطى وجمرى
بعدما أشهدتُها وهجى جميعاً
ثم غادرتُ انْطفائى
عندما اكْتمل احْتراقى



وانتهيتُ إلى رماد
هكذا أسرفتُ فىَ ظنِّى
وقلتُ لصاحبىَّ
قفا لنبكى لحظةً
طللاً
أطلَّ علىَّ
من طيَّات أطوار الطفولةِ
كان مطموراً
تُغطِّيه الطواطمُ



والطواطمُ
طحلبٌ طافٍ
على طمْى الطَّوافين التى
طافت بأوطانى
وجفَّتْ مثل أوطارى
تأفَّف صاحباى من الوقوفِ
فقلتُ:
حُطَّا عنكما زادى وأورادى
فقد حانت هنيهة الافْتراقِ



فلم تزلْ
فى غيب قلبى الفاءُ
حاضرة الشرارةِ
أجتلى فى ومضها
مدنًا من التذكارِ
حين دخلتُها اصطفَّتْ على الطرقاتِ
أيامى القديمةُ
كنت طفلاً طاعنًا فى الحزنِ
يعرف كلَّ ما لا يعرف الأطفالُ
يعرف ما تشيب له الشعور السودُ
تحت القبَّعات أو الطواقى

لم تزلْ
فى غيب قلبى الفاءُ
حاضرة الشرارةِ
والرماد رفات نورٍ حولها
هلَّا صببتَ على حرائقها العنيدةِ
نقطةً من نُقْطتيْك
لكى يتمَّ أمام حشدَ الأبجديَّةِ
من لهيب الفاءِ
يا قافُ انْعتاقى



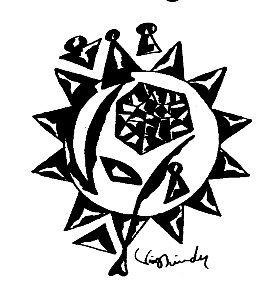
كنتُ مرصودًا بفائى
تستقلُّ الفاءُ وجهاتى جميعًا
أينما ولَّيتُ وجهى
فاجأتنى بالفلاسفة الذين تكلَّموا
فى سفسطات فسيفسائيَّات حرف الفاءِ
قبل ظهور زينونِ وآبيقورَ
فى الزمن الرواقىّ



رحتُ
مفترضاً نجاتى من سجون الفاءِ
أُعمل فكرىَ القافىَّ
فى كافِ
بدتْ كالَنيزك الخابى
على طرف المدى الكابى
تحاول أن تحاورنى
بطرْفٍ شيِّقٍ صابى
ولكنَ دونَما جدوى

فأبدعتُ المناظير القويَّةَ
كي تراني أو أراها أو ترى أنِّي أراها
أيُّ كونٍ صاخبِ الأفلاك دوني
في عيوني
راحت الأقمار تطرحُ
عن محيَّاها خمارَ الضوءِ
بانت في الظلال كواعباً
تسقي الكواكب حولها
كي لا تكفَّ عن التطوُّحِ
في دوائرَ مغلقات
خمرةَ الجذب المعتَّقة المذاقِ

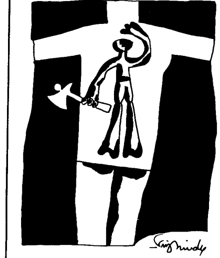
ووسْط هنا المهرجانِ
رأيتهُ
قد كان ثمَّ كويكبٌ
من لؤلؤٍ صافٍ
على صدَفاتهِ
جزرٌ من المرَجانِ
ترغى حولها
لججٌ من الألماسِ
يطفو فوق سطح رغائها



قرطٌ
من الذهب الذى عالجتُهُ بالهمسِ
إذ أهديتُهُ امْرأتى
تتبَّعتُ انْدياح القرطِ
حين يغيب عن عينىَّ
سمعى يقتفى وسواسهُ
حتَّى استقرَّ
على خليجٍ من عقيقِ



ثمَّ هرول فوق شطٍّ
بلَّطتْهُ رقائق الفيروزِ
ثمَّ على طريق اللازوردْ جرى
لبيتٍ حوله سورٌ منيعٌ كالسوارِ
ببابهِ ملَكٌ من الياقوتِ
أفسحَ فسحةً عجلى
لساق القرطِ
كي تندسَّ فَيما خلف لمعتهِ
وردًّ علىَّ ساقي



قلـــــــتُ:

هلا فتّنى امْرأتى بهذا البيتِ

قـــالَ:

وأنتَ فيهِ

فقالت القَاف التى خفَّت بإثرى

خلّهِ يقربْ لثقب البابِ

ينظر كيف يبدو

خالعاً صلصاله الأرضىَّ

منزوعاً من الذكرى

مفارقاً الوقائع كلَّها

مُتعقِّباً قدراً خرافياً

فقلتُ:

أنا زعيمٌ أنِّى استشهدتُ

من أجل القوافى

قالت الكافُ التى لحقت بنا

كاف للام لقائنا حضنى

إذا أقَصيتُ همزتهُ

فقلت أنا أراهنُ

أنِّى يا كافُ مذبوحٌ هنا ذبحاً

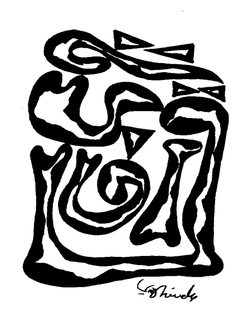
أما من ناظرِ معنا

سوانا يا تُرَى

لدمى المراقِ

رأيتُنى
غيماً يخبُّ بماء غيمٍ
مثل نشرِ ياسمينىٍّ
يجوس خلال عرفِ سوسنىٍّ
كان بيتى ذائباً
كالمسك فى غدد الغزالة
رائغاً كالعنبر المرجوج رَجّاً
تحت جلد الحوت
فصَّل منه يونسُ خَيمةً صفراءَ
تحت ظلالها يأوى
من اليود الذى يتوعَّد الغرقى
بصبغة الازْرقاقِ





رأيتُني
طيفاً كريم الوجه
مثلي مثل يوسفَ
والزليخاتُ اجتمعن عليَّ
والتفَّاح يقطر من أياديهنَّ
صهباءَ
يخامرها نبيذ دمائهنَّ
فأصبحتْ فوق الكحولِ
فمحتسيها لا يفيقُ
ولا يعكِّر صفوه سقْمُ الفواقِ

رأيتُنى
فى سجن فائى
مثل قاف الشوقِ
أحترف الرؤى
وأفسِّر الأحلامَ
فوق سرير عرش العشقِ
تسجد لى الكواكبُ
كنت مضطجعاً على قمرينِ
مرتفقاً على شمسٍ
فألهبنى ارْتفاقى

صرتُ مخلوقاً
من الوهج المطوِّفِ
حول بركانٍ
من الحمم المضيئةِ
مستديم القصفِ
ماضٍ في التوقُّدِ
والتناثرِ
في الفضاءات المديدةِ
بين أجرام المجرَّاتِ البعيدةِ



فى الزمان السرمديِّ
كهارباً أمسيتُ
كى أستكشف المستقبلَ المدسوسَ
فى الظلمات
أخترق الدجنَّاتِ الكثيفةَ
لا أكفُّ
عن الرحيل اللاهب المحمومِ
ليس يردُّنى وقتٌ ولا عنتٌ
عن الكشف الدؤوبِ
والاختراقِ

رأيتُنى
نجماً تفجَّر فى الفضاءِ
وخلفىَ امْرأتى
هلالا أنثوىَّ السمتِ
يجمع ما تشظَّى مِن بريقى
كى يعيد إلى التنجُّم هيئتى
ويتمَّ دورتهُ
ويصبحَ
والمساء على الطريق إلى الدجى
قمراً تماماً

يغزل الأضواءَ هالاتٍ
على أشكال آلاتٍ
كآلات العصافير الخبيئةِ
فى حناجرها
لتبدأ عزف سيمفونيَّة الشرق الجميلةِ
شهر زادَ
وألفُ ليلٍ مستسرٍّ فى مقاطعها
وليلٌ سافر الأسرارِ
يمنحنا مباهجه بلا ثمنٍ
ولا منٍّ





فأدركُ
أنّني قد صرتُ حلماً شهريارياً
بلا وسنٍ
أهمُّ بفائرِ النغماتِ
حين تهمُّ بي
فنصير موسيقى مركَّبة الفواصلِ
صوت «صو - لا - سي»
على أصداء «دو - ري - مي»
فنلقى «فا» كهمهمة الملائكة القريبةِ
حين نبلغ مستوىً فذّاً
شديد الإتّساقِ

رأيتُها ورأيتُنى
لحناً جميلاً
لا يكاد يبينُ
موقعه من الوجدانِ
حتى يستثيرَ
مواقعاً أخرى بنا
لحنٌ جميلٌ آخرٌ
فتكون موسيقى
كما المُهر المجنَّحة المطهَّمة الأعنَّةِ
بالبلابل والعنادل والقطا

حفلٌ من الأنغام يحملُنا
على طبقٍ من التلهاف طيَّارٍ
ومن طبقٍ إلى طبقٍ
يحطُّ علىَ فراديسَ البدايات القديمةِ
حِسّنا
فَنعود سيرتنا التى كنَّا عليها
كائنات ساذجات
تُخلق الَأسماءُ فيَها أوَّلاً
حتى تميِّزَ ذبذبات الروحِ
تأتى من مسافاتٍ سحاقِ

ما رأيتُ كمثلنا
لحنيْن منفردينِ
يلتحمانِ
يبتهلان للرحمنِ
أن يتوحَّدا
ويصير كلٌّ منهما
وجهاً لصوت قرينهِ
وقرينه صوتاً لصفحة وجههِ



وجهين مسموعينِ
يلتقيان فى عينين ناطقتينِ
تعترفان بالنبأ العظيمِ
وتصدُقان القولَ
فى آلاء ربِّهما
وليسا بالقضاء تكذِّبانِ
وتجفلان فتسجدانِ
تتمتمانِ
بآيةٍ تصَفُ الخمائلَ فى الجنانِ

تصفُّ زهرَ الحُلْمِ
فى شجر الجفونِ
فتقطر الأطيابُ
إذ تتلامس الأهدابُ
تهمسُ:
يومذاك له .. وليس لغيرهِ
قاف المساقِ



وبينما أنا منصتٌ
يتقدَّم البصريُّ نحوى
رافلاً
فى طيلسانٍ
من عبير الأَقحوانِ
معمَّماً بشقائق النعمانِ
منتعلاً جذور شجيرتىْ رندِ



ومستنداً

علی غصنٍ من البانِ المُطَعَّم فرعهُ

بالخيزرانِ

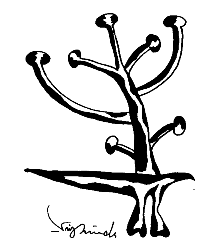
وبين فكَّيهِ سواكٌ

من أراكٍ طَيِّبِ النفحاتِ

مدهونٍ بصبغ الزعفرانِ

سألتُه عَن سرِّهِ

فأجابني:



إنَّ العبارةَ وردةٌ

والعطرَ رؤيا

والشجيرةَ موقفٌ

والعطرَ منطَلَقٌ لها

فالورد فانٍ

والشجيراتَ التى تحويه أيضاً فانياتٌ

غير أنَّ العطر باقى



هل أتى حينٌ من الدهر القديمِ
ولم يكنْ فيه العبيرُ
مرادفاً للروحِ
أعمل فكرَه الحلّاجُ
ثمَّ استلَّ ريشته الطريَّةَ
من جناح الطائر اللقّاطِ
حَبَّ اللوزِ



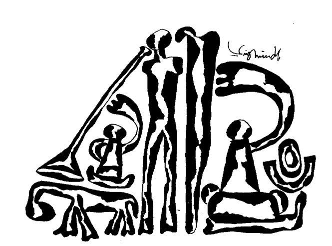




من شجر الطواسين الذى يسعى
على قدمينِ
خلف سحابة العبق التى تُغريهِ
بالإسراءِ
فى عكسَ اتِّجاه الوقتِ
راحَ
يفضُّ صوف عباءةٍ
قد كان يطرحها علَى كتفيهِ
خرفاناً

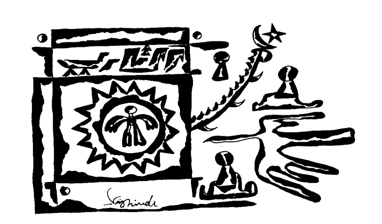


ويفضى للعصا بهمومهِ
وعصاه تسمعهُ
إلى أن ألقى بها
وانْكبَّ يكتبُ
فوق أوراق النسيم رسالةً
لصديقه الشبلىِّ
فى بيد العراقِ



يقول فيها :

بينما التاريخُ
يخطو فوق سطر الشوكِ
فى كرَّاسة الأحداثِ
ممسوساً
بشوق الروح للأطياب
مهموماً بما لم يأتِ بعدُ



تفجَّرت فى الكونِ

وردته العظيمةُ

واستحالت فى الفضاء سديم أشذاءٍ

وسالت فى الفلا

أنهار عطرٍ

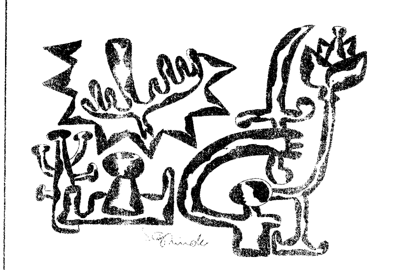
مثلما سالت دمائى

عندما اشتعل الفؤاد الصبُّ

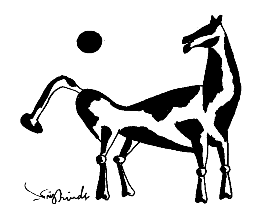
فارت

ثمَّ جاوزت التراقى

كان يصْغى للرسالةِ
عبر أصداء الزمانَ الدائريَّةِ
إمرؤ القيس بن حُجْرِ



إستبدَّ به فضول العقلِ
إلَّا أنَّ حاسَّة قلبهِ انْتبذتْ بهِ
ركنًا قصيًّا
فى فناء الجاهليَّةِ
ثم راحت
تُسرج الأخبار أشعاراً
وتطلقها كما القطعانِ
تتبع فى السرى القطعانَ
من خيلٍ عتاقِ







لامْرِئ القيس الكثير من القوافي
عندما وافاه سيلُ العطرِ
أسلم للقوافي رحله ورحالهُ
وارْتجَّ
يعدو هارباً
من لجَّة العبق التي تعدو وراء خطاهُ
عدْو الهاربين من القيامةِ
في ضحى يوم القيامةِ
عدْو وعلٍ في اتِّجاه الفخِّ
عدْو الريحِ
حول المحور الرأسيِّ للإعصارِ

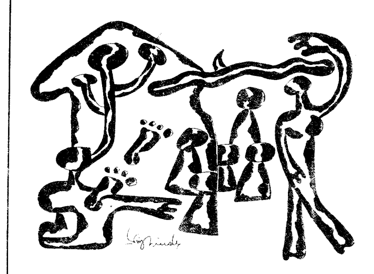
عدْو الرعدِ
فى أذن امْرئ القيس التى
خُلقتْ من الهمسات
يدرك أنَّه ـ للتوِّ ـ فسَّرَ
آى ظاهرة البروق السائبات الضوءِ
يدرك أنَّ أصل البرقِ
نجمٌ كالثريَّا
قد تخلَّص من مواثيق استْدارتهِ
وأوغل فى المدى الكونىِّ
محلولَ الوثاقِ

هو امْرؤ القيس الذى
يعدو وراء أوابد الصحراءِ
فى شبه الجزيرةِ
كى يقيِّدها
ويقطع بالحسام الأرضَ
حتى تستحيل جزيرةً
شبهُ الجزيرةِ
والخليجُ
يسيل من فوق الخريطةِ
للجنوبِ
مع الشموس الغارباتِ

هو امْرؤ القيس الذى
يعدو وراء الوحشِ
يعدو خلفهُ
رئمٌ من الريحانِ
يملك أيطلا ظبيٍ خزامىٍّ
وساقىْ تتْفلٍ
كالفلِّ



حافرهُ رقائق صندلٍ
آثار خطوتهِ
على سطح الصخورِ
تضوع ضوْعاً كالبخورِ
فأين يهرب من طراد الطيبِ
والكافور يضرب حولهُ
أزكى نطاقِ



هكذا يا قافُ ألجأه الأريجُ
إلى مغادرة المكانِ
وألجأته الوسوساتُ
إلى مغادرة الزمانِ
رأيتُه في القيروانِ
مُدافعاً عن حقِّه الشرعيِّ
في ألا يشمَّ العطرَ
لكن
حين عدتُ إلى رواقي الأزهريِّ
وجدتُه جاري اللصيق الجنبِ
في نفس الرواقِ

أنا امْرؤ القيس الذى
قد طاله العبق البهيجُ
أعيد غسلَ قصائدى بالعطرِ
والبرَدِ الطهور القطرِ
من دنسٍ ثوى فى الشطرِ
بعد الشطرِ
تلمع فى محاجرها
عيونُ الشعرِ
أُبصرها حدائقَ
لم أجدْ فى مثل رونقها حدائقَ
كلُّها ملكى
وكلِّى ملكها

مَلكٌ أنا

عَادت إلىَّ ربوع مملكتى جميعاً

واسْتراح الصولجانُ

على الأريكة جانبى

والتاج فوق وسادتى

أسكنْته الأحلامَ

حتى عادنى النوم الذى

قد شطَّ فى هجرى

وأمعن فى فراقى



الجاهليَّةُ ذكرياتٌ فى دمى حمراءُ
مثل النارِ
تستعر اسْتعاراً فى عروقى
والدخانُ
يفوح من صدرى كثيفاً
كنتُ أبخرَ
لا يطيق زفيرَه
صدرٌ لأنثى شاهقٌ



وأنا إلى الأنثى
أعانى من دمٍ هافٍ
إلى دمها
ومن عصبٍ
يُنبِّت عشبَ تلهافى
شراكاً حولها
للجاهليَّة ذكرياتٌ فى دمى
حمراء أو سوداءُ



أذكر أنَّنى قاتلتُ

حتى أسرج الموتُ الجيادَ

على دروبى

تسحب العرباتِ

تحمل من قتلتُ

ومن جرحت تفوتُهُ

يرجو سباع الطيرِ

أن تؤوى نثارتَه حواصلُها

فيرقى فى سماءٍ كالدهانِ

فإنَّهُ

إنْ لم تلقِّطه الجوارحُ

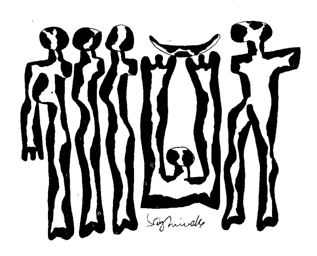
غيرُ راقى

كنتُ رمز الجاهليَّةِ
فى يدى اجْتمعت أصابعُها
وفى رئتىَّ
قد قبعت زوابعُها
لتنطلق انْطلاقاً
إن فتحتُ فمى البليغَ
فإن لزمتُ الصمتَ
لم يكُ للعواصف أن تهبَّ
ولم يعدْ للريح فوق الأرضِ
من حظٍّ
ولم يُرَ للأعاصير العتيَّةِ
من خلاقِ

إنَّنى وحَّدتُ فى سيفى
دماءَ قبائل العرب المفرَّقة انْتقاماً
للأب الكنْدىِّ
ضيَّعنى صغيراً
ثم حمَّلنى جريرة ثأرِه
عمراً تردَّد فى بلوغ الأَربعينَ
فرحتُ أهربُ
من ضياع طفولتى هرباً



يطاردني شبابي ضائعاً
كطرادىَ الغزلان فى الفلواتِ
أرميها
وأتركها سدى
فكأنني
وضياعىَ المقدورُ
والعمر المقدَّر فى استباقِ



رحتُ مفتوناً
بذاتى الجاهليَّةِ
مُستهاماً
بالقدود السمهريَّةِ
مُستفزاً
بالعيونِ التغلبيَّةِ
مُستثاراً
بالشفاه العامريَّةِ
مُستمالًا
بالخدود الخزرجيَّةِ

مُسترقًّا
بالخصور الوائليَّةِ
مُستشاطاً
بالنهود المازنيَّةِ
مُستعيذاً
بالجيود الحارثيَّةِ
مُستجيراً
بالكفول الحمْيريَّةِ



أنشدُ الفتيات
أكثر من عذارَى
ثم أهجرهنَّ
دون الثيِّبات
رشفتُ منهنَّ الرضابَ العذبَ
حتّى إن رويتُ
مللتهنَّ
فكنَّ بعضاً من بصاقي



رحتُ مفتوناً بذاتى الجاهليَّة
أسرق الزوجات من أزواجهنَّ
وأنتحى بالشعرِ
أطلعه على قصصى القبيحةِ
سادراً فى الفسقِ
مزهواً
فيفضحهنَّ شعرى الجاهلىُّ الصوتِ
ثم يمرُّ بالصور الخليعةِ
يستثير بعولهنَّ الغافلى الأحداقِ
يرميهم بنعتٍ
كالقذى للعينِ فاقى

إعتنقتُ المزدكيَّةَ
كان مزدكُ فيلسوفاً فى بلاط قباذَ
أقنعهُ
وأقنعنى
بأنَّ المال طرّاً
والنساء جميعهنَّ
لكلِّ أهل الأرض قاطبةً مشاعٌ
كنتُ أعلم أنَّنى الأقوى
وأنَّ المال مالى
والنساء حريم قصرى
رحتُ ملء الشعرِ
أغرى السامعينَ
بمزدكيَّةِ الاعتناقِ

ورحتُ أقنع صاحبى بعقيدتى
والنردُ يجرى بيننا
شوطاً فشوطاً
حين فاجأنى
خصىٌّ من عبيد أبى
أتانى مثل ريح الكيرِ
كالجمل الذى صبغوه بالقطرانِ
يصرخ فىَّ
بالصوت الذى يحشو الفراغُ به الصدى
قتلوا أباكَ

أشحتُ عنهَ
وصحتُ في خلّي: لترمِ
فإنّني ما كنتُ أفسد يا صديقُ عليكَ
رميتَكَ الأخيرةَ
ثم درتُ بوجهيَ المحزونِ
في العبد الغرابيِّ المحيَّا
قائلاً:
اليوم خمرٌ
سوف أسقاها ولا سكرٌ لها
وغداً
هو السكر الطويلُ
بغير ساقي

حين ذلك قام يُسْلمنى
دروعَ أبى
وسيفَ المُلْكِ
ثم مضى
وقلبى شاخصٌ للرملِ
والصحرا
بكلٍّ بطاحها ووهادها
راحت تنادى بعضها بعضاً
وتستدعى الجبال إلى الجبالِ
من اليمين.. من الشِّمالِ
من الجنوب.. من الشَّمالَ
وأصبحتْ دونى
تضيقُ.. تضيقُ
حتَّى قد بدتْ مثل الزقاقِ

مشيتُ
تخبط كتفيَ الكثبانُ
والهضبات تلتحم التحاماً
خلف خطوى
كنتُ مدفوعاً
إلى قدرٍ جزافىٍّ
بلا أملٍ
لأن ألجّ التواريخ القديمةَ
مرَّةً أخرى
فكلُّ الذكرياتِ تجدُّ فى إثرى
لتلحقَ بى
فلا تجدُ السبيلَ إلى اللحاقِ

أيا لثارات المليكِ
ويا لثارات الهمامِ
هجمتُ مبتغياً بنى أسدِ
أصبتُ بنى كنانةَ
أىٌّ مشئومٍ أنا
تركتْ مناصرتى إذنْ
بكرٌ وتغلبُ
حينها
أجرى علىَّ الأبرصُ الأسدىُّ شِعراً
مثل شَعر الإبط يهجونى به
«هلاَّ على حجر ابن أم قطامَ تبكى لا علينا»

رحتُ لليمن استجرتُ
بمرثد الخير بن ذى جدَّانَ
ذاك الحميرىِّ
أمدَّنى برجاله
لكنَّه ما كاد ينفذهم معى
حتى توفِّىَ
أىُّ مشئومٍ أنا
يمَّمتُ شطرَ تبالة
أستقسم الأزلام
عند مشارف الصنم المهولِ

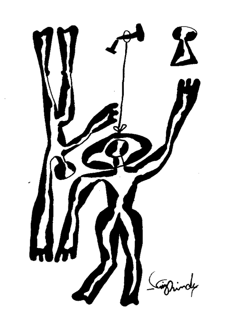
أجيلها فيردّنى
وأجيلها فيردّنى
فجمعتُها
وضربتُ جبهته بها كمداً
وقلتُ مقرِّعاً
لو كان والدُك القتيلَ
تُراك كنتَ رددتنى؟!
إنِّى أنا صنمى ألوذ به
وأستهديه فى درب المشاقِّ



أنا أعيدُ
لكندة المُلك المضيَّع كلَّه
وعليه حمْل مجرَّة ضوءٌ
وحمْل مجرَّةٍ ظلٌّ
أجلْ
فإذا أهلتُ على الظلال الضوءَ
يُصبح ملء هذى البيد جيشٌ
من سيوفٍ بارقات
فوق جيشٍ
من خيولٍ سابحات
أملك الأرضين أجمع
حينها
وإذا رغبتُ
فسوف أضطرُّ السماء للانطباقِ

أبى
أبوه أبو الملوكِ
فكيف أهمل ثأرَهُ
فظًّا غليظ القلبِ
كان أبى
يُقتِّل بالعصا
ويذ لُّ بالسوط الرعيَّةَ
حينذاك عليه ثاروا
غير أنَّ الثأر أدركنى
وأصبح طلبتى

أدرى بأنَّ الظلمَ إرثٌ
صرتُ مثل أبى
فإنِّى كنتُ أكثر أخوتى
شبهاً به
فسعيتُ أستعدى
على الأقوام أعمامى
وأُحكم حولهم
حبلَ الخناقِ



أبى
أبوه أبو الملوكِ
فكيف أهمل ثَأرَهُ
أو كيف أحمل ثأرَهُ
حمَل المهلهلُ
ثأر تغلبَ فى كليب
كان زيراً للنساءِ فعيَّروهُ
بأنه لا يستطيع سوى النسيبِ
فجزَّ سالفهُ
وقصَّر ثوبَهُ
واستلَّ سيفاً خانهُ
لكنَّنى سيفٌ بكفِّ الموتِ
يغنيهِ عن التنويه بالقدر امْتشاقى

منذ حمَّلني أبي دمَهُ
تركتُ الشعر أخيلةً
وأسرجتُ الرؤى خيلاً
تركتُ الشعر أصواتاً ممعدنةً
وأمسكتُ الحروفَ مُدىً
أبي حُجْر بن عمرو
ذلك الملك الذي استْشرى
بنجدٍ والَحجاز أبوهُ
حتَّى كان كالنار التي جاءتْ
على شبه الجزيرة كلِّها

فتوجَّستْ منه التابعةُ/ المناذرةُ/ الغساسنةُ
الأكاسرةُ/ القياصرُ
كان جدِّى حين يغضبُ
تزبد الشفتان منهُ
كأنَّه الإبل التى أكلتْ مراراً
حينها
تشب النجومُ
من البروج إلى الفضاءِ
ويَنشد القمرُ السلامةَ
فى المحاقِ

أبى
أبوه أبو الملوكِ
فكيف أهمل ثأرَهُ
أو كيف أحمل ثأرهُ
حارت يدایَ
وحارت القوس التى صنَّعتُها
من ذلك الضلع الذى يكسو فؤادى
أين أرمى أسهمى
وإذا رميتُ
فبعض نَبلى
مستقرٌّ فى دمى

لكنّه الملك العظيم أرومهُ
جمّعتُ
أبيات القصائد فى الحماسة كلّها
رجّعتُ
أصداء القوافى الهاجيات الهائجات جميعها
ووقفت فوق رويِّها
متفقداً أجناد شعرى
والرواة من الرماةِ
وراء ظهرى
ثم أعلنتُ المعاجم والتراجمَ
بانطلاقى

كالصهيلِ
شرعتُ أملأ بالخيول عقيرتى
وأمدُّ فرسانى بصوتٍ
قد تثنَّت فى حوافرهِ
تضاعيفُ الصدى
مثل الصليلِ
ذهبتُ أستبقَ السيوفَ
إلى السيوفِ
لكى أوقِّعَ فوق أعناق الضحايا
قبل أن تجرى دماؤهمو
بإمضاء الردى

كان القضاءُ ذراعيَ المرفوعَ
والقدرُ انْحناءتَهُ
على الأعناقِ
حدّاً فاصلاً
بين المنايا والمنى
كنتُ القضاءَ
وكنتُ أقدار الرجال
كأنّني واللات والعزّى
وآلهة المصير جميعهنَّ
على وفاقِ

كنتُ أطلبُ
مُلك جدِّى المستطيلَ
وثأر والدىَ القتيلِ
وشوق نفسى المستحيلَ
وكدتُ أبلغ مأربى
بل كادَ
يرسو فوق رأسى التاجُ
كاد الحلمُ
يؤوى الكائنات العبقريَّةَ
فى مشاش عظام جمجمتى

وكاد الحلمُ يورق فوق أهدابى
عرارًا
كدتُ أرجع للقصائد
أستتيب ملاكها الشعرىَّ
أخلع عن جوانحىَ الدروعَ
وأرتدى اطْمئنانىَ المخلوعَ
مصطلحاً
مع الأنفاس فى صدرى
ومعلناً السلامَ
على نسيمِ الكونِ
حين يرفُّ فى رئتى التى قاستْ
دخانَ الحربِ
حتّى الاختناقِ

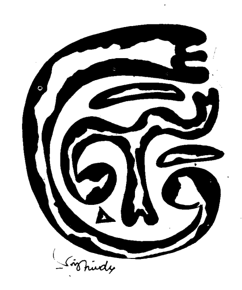
وكدتُ أرجع للخرائدِ
غير أنَّ الحرب طالت
والخيانة قد توالت
والرفاق تناقصوا حولى
وزادوا حول أعدائى
فخفتُ
إذا أتانى الصبحُ
يكشفنى



فكتّفتُ الكواكب بالحبالِ
ورحتُ مهووس اليدينِ
أشدُّ أطراف الحبالِ
إلى الجنادل
فاستقرَّ الليلَ موضعَهُ
يُلاقى فى الملالة ما ألاقى







ثم رحتُ

وقد جفانى النومُ

أبحث عن رفاقٍ لم يجيئوا بعدُ

مثل أبى نواسٍ

كان شاذًّا

فتُّهُ لمجونه

ورجعتُ عَنهُ

إلى المعرِّى



ذلك الأعمى المحدِّقِ
فى النجوم الساطعاتِ
سألتُه عن ليلهِ
فأجابنى:
ليلٌ ثلاثىٌّ
لفقدى ناظرى
ولزوم بيتى
واحتباس الروح فى الجسم الخبيثِ

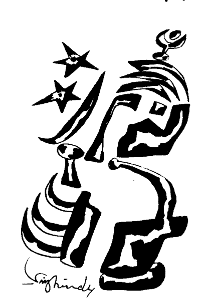






تركتُه للبحتريِّ.. البحتريُّ أمضَّنى
بزخارف الوصف المملَّة
فتُّه للشاعر الفذِّ الذى سَمع الأصمُّ نشيدهُ
ورأى الضريرُ قصيدهُ
لكنَّه
قتلتْه نفسٌ مثل نفسى
هؤلاءِ
ظننتُهَم فى ليلىَ المطوطِ
من بعض الرفاقِ

فخاننى ظنِّى
جذبتُ الليلَ من يدهِ
وسرنا فى الفيافى
كان عنترةُ بن شدَّادٍ
كمثل الليلِ
إلا من بياضَىْ مقلتيهِ
كنجمتين صغيرتينِ
جذبتُه معنا







وسرنا
خلف قطعان القوافي
والنجوم الساكناتُ
كما الحروف الساكناتِ
تشدُّ بعض الليلِ
والبعض اسْتجاب لساعدي
حتى تجلّى الفجرُ عن ليلٍ
تبقّع جلده بالضوءِ
عن ليلٍ
مريضٍ بالبهاقِ

وحينذاكَ
تناثر الأعداءُ حولي
مثل نور الصبحِ
يطلع من كمين الفجر أفراداً
ويلتحمون ما جاء الضحى
جيشاً
من القيظ المسلَّح باللظى
مَن هؤلاء القادمونَ
مع الشموس من المشارقِ؟



إنَّهم
جندٌ من الفرس الأساورة ارْتأى
كسرى أنو شروانَ
أن يُلقى بهم
فى دربىَ المزحومِ
بالشهب العدُوَّةِ
صار زند الشعرِ
أعزلَ فى يمينى



•

صار سيفُ الشعرِ

من ورقٍ مقوّى

كان صوتاً من نحاسٍ

كنتُ أحسبه نحاساً صائتاً

لكنَّهُ

صداٌ مليءٌ بالصدى

متهافت الطعناتِ

عند الإرتشاقِ







جعلتُ أعدو

في اتِّجاه الغربِ

حين أتى عدوِّى

من حدود الشرقِ

فتٌّ دروعىَ الملكيَّة الأختامِ

فى نصف الطريقِ لدى يهوديٍّ

تسمَّى بالسموءلِ



فتُّها رهناً لديهِ
لكى أهيِّئَ رحلتى
ومصاحبىَّ لقيصرِ
وعلى الطريقِ
إلى تخوم الروم لازمنى دليلٌ
كان عرَّافاً
تلقَّب بابْن زرقاء اليمامةِ
إذ يرى
ما لم ترَ الزرقاءُ



نفطاً دافقاً

وغنىً عريضاً

والخيام تفوتها الأعرابُ

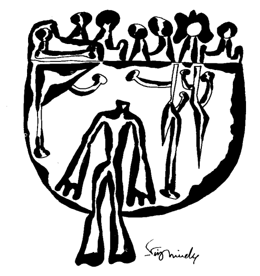
كى تلج القصورَ

وفى القصور الحورُ

من كلِّ البلادِ

شمال أوربَّا

وشرق جنوب آسيا



ضامرات الكشْحِ

رخْصات البنانِ

مدوَّرات الكفْلِ

هاشَّات الثغورِ

مدملجات الردفِ

عذبات الثنايا

لا تكفُّ الكاعبُ الهيفاءُ

منهنَّ اعْتلالا

أو كلالا

أو ملالا

عن مداومة العناقِ

إلى مضاربهم
يجئ العالم الأقصى
ليعرضَ
كلَّ فنٍّ من فنون السحرِ
يسبيهم
ببلُّورٍ عجيبٍ
ينقلُ الدنيا إلى حجرات نومهمو
وهم يتثاءبونَ
كأنَّهم
بين الكواكب يسبحونَ
على مطايا.. كالبراقِ

إلى مضاربهم
يجئ العالم الأدنى
يقدِّم جهدَه اليدوىَّ
ليس له سواهُ
يسلُّه من بين غضروفٍ وغضروفٍ
يواصل زحفَهُ
فوق الرمال المحرقاتِ
كما قطيع النملِ
بغية الارْتزاقِ







يقول عرّاف اليمامة
سوف يأتي للقبائلَ ذات يومٍ
من يقول لها اجنْحي
للنعمتينِ:
الراحة الكبرى
وقرض الشعرِ
نحن نقومُ عنكِ
بكلٍّ ما تبغين من رعيٍ
ووعيٍ
نحن نبذلُ عنكِ ما قد رُمتِ من سعيٍ
إلى الغايات أجمع

نحن مصرفك الحلالُ

ربا نقودك عندنا بعض الغنائمِ

نحن مصنعك الذى يكفى

بنيك السادة الأشرافَ

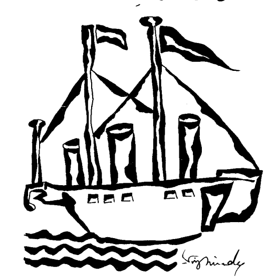
نفخ الكير أو نفض السخامِ

ونحن مطبخك الذى يثرى خوانَك

بالشقانقِ والنقانقِ

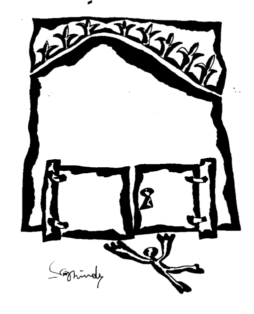
والثريد الهاشمى

وكلِّ ألوان الرقاقِ



يقول عرَّاف اليمامةِ
سوف يأتى للقبائلَ ذات يومٍ
من يقول لها
أصيخى السمع لى
هذى قضاعةُ
تستعدُّ لسبى نسوتك الحسانِ
وهذه تيمٌ
تحضُّ على خزائنك المليئة بالجمانِ
خزاعةٌ

هذى فزارةُ
تستحثُّ بنى كلابِ
أن يعيشوا
فى مراعيك الفسيحةِ
هذه عبسٌ
تهيِّجُ كلَّ ذبيانٍ عليكِ
وهذه مضَرٌ
تنازعكِ السيادة والسدانةَ
فانزعيها من منازلها بليلٍ



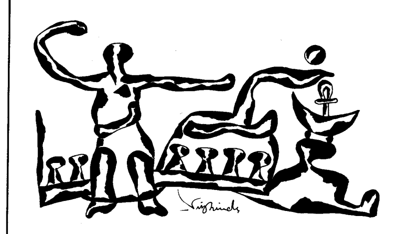
هؤلاء رجال شيبان اسْتجاروا

بالأشاوسِ

فاسْتعينى بالنشامى

وابْدءيهم بالخصومةِ

واعْجليهم بالشقاقِ



يقول عرَّافُ اليمامة

سوف يجرى أحمرٌ قانٍ غزيرٌ

يملأ الآبارَ

حتَّى يرجع العربىُّ

مقروراً وظمآناً



إذا هو يطلب النيران تُدْفئهُ

فلا يلقى سوى دمهِ

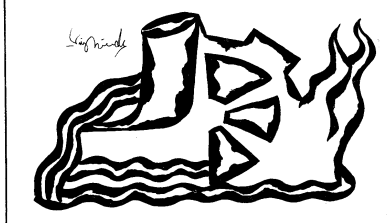
يُكرَّر فى مصافى النَفطِ

إن هو يطلب السقيا

فلا يلقى سوى دمهِ

تدور بهِ

على التَرع السواقى



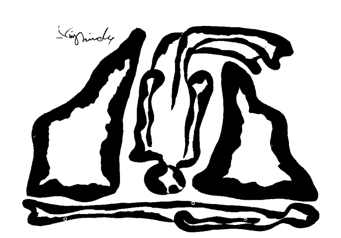
هذه كانت نبوءتهُ

رواها

ثمَّ.. ماتَ

دفنتُه بين الدخول فحوملِ

ووقفتُ فى سقط اللوى حيناً



وقلتُ لصاحبيَّ
قفا
ليبكى بعضنا بعضاً
فإنَّ قبورنا
حدقٌ مصوَّبةٌ إلى حدق
شواهدها الدموع الساقطاتُ
على جفون الكلسِ
من عهد الماقى



صاحبىَّ قفا

ليبكى بعضنا بعضاً

هنا

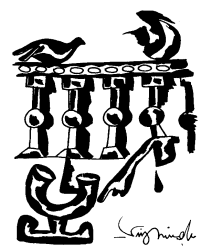
طللٌ أطلَّ علىَّ

من حىٍّ الأحبَّةِ

فى طليطلة التى كانت

على رأس البسيطةِ

طرحةً كالشمعدانِ



وفوق طرّتها الطيورُ
تحطُّ
تلقطُ
من جدائلها النيازكَ
ثم تعلو
فوق هامات البرانسِ
كالصباحِ
تضيءُ للإفرنج عتمةَ أفقهم
صاح الفرنجةُ
عندما سقطتْ عليهم
زخّةَ الضوء المطيرِ
إذن بروميثيوس عاد من الأولمبِ

وأقبلوا
يتدارسونَ
صفات ما قبسوهُ
من إشعاع جوهرنا
وراحوا يفتحون عيونهم دهشاً
وأجفان العروبةِ
فى طليطلة
تهمُّ بالانغلاقِ



وطيّها
طللٌ أطلَّ علىَّ
من زهراء قرطبةِ
وطيفٌ لابْن زيدَونِ
يغنِّى يائساً
أضحى التنائى واقعاً
ولَّادةُ اسْتكفتْ بألفونسو
وقالت فى دلالٍ داعرٍ
إنِّى أمكِّن عاشقَى منَ صحن خدِّى
ثمَّ أعطى قبلتى من يشتهيها

مثلها غرناطةٌ

أضحت جرينادا

وأمستْ همبرا الحمراءُ

قصراً كان مأهولًا

وأصبح متحفاً للزائرينَ

كمثل غانيةٍ مزوَّقةٍ

تغضَّنَ جلدَها

تحت الزواقِ







كذلك المدن البعيدةُ
أصبحت أسطورةً
موشومةً فوق الخريطةِ
إنَّ هذا الرسمَ
كان لبلدة تُدعى سدومُ
على مدارّجها
بنى عربٌ حضارتهم
وسادوا
عندما ارْتادوا المجاهلَ
ثمَّ بادوا
عندما اعْتادوا هواية الانْسحاقِ

وإنَّ هذا الرسمَ
كان لتدمرٍ
لم يبق منها
غيرُ
إسم مليكة تُدعى زنوبيا
إنَّها الزبَّاء قطعة قشدة
ساحت على مرِّ السنينَ
وأصبحت ذكرى الضروع الشاخباتِ
خرافةً في كلِّ آنية
من الخزف المسائيِّ الشفيفِ
إذا انْبرى ضوءُ النهار لهُ
تذرَّى كالهباءِ





وهذه
إرمَ التى كانت
تتيهُ على البلاد جميعها تيهاً
فلم يُخلقْ لها شبهٌ
وأصبح ذكرُها
أدباً بكائيًّا
ومأدبةً من الحسرات طافحةً
وأصبح شعرنا العربىُّ
تاريخًا من الأطلالِ
متَّصل السياقِ

وهكذا رحنا على الأطلالِ
نسعد بالنشيج وبالنشيدِ
كأنَّنا نسعى لهدم بيوتنا
حتى نقيم الشعر أبياتاً
على أبوابها
يرفو أبو الفرج العناكبَ
أصفهانيٌّ المزاجِ
يزوِّج التشبيه فيها للكناية ضاحكاً
ويزجُّ بينهما العواذلَ
والفضوليِّينَ
من طُرَف العبارات الغنيَّةِ
بالبديعِ وبالجناسِ وبالطباقِ

كأنّما الدنيا انْتهتْ عند الكلامِ
كأنّما كفًّا ابْن آدم حليتانِ
كأنّه شفةٌ وحنجرةٌ
وبينهما لسانٌ
تحته الإنسان مخبوءٌ
يصنّع الاستعارات العجيبةَ
والعبارات القشيبةَ
ذاهلاً
عن شقٍّ أسباب الحياة بساعديهِ
مهوِّماً بلهاتهِ
فى ملهمات الإشتقاقِ

أصاحبيَّ قفا
ليبكى بعضنا بعضاً
هنا
طللٌ على طللٍ
وقلبى طفلةٌ مفطومةٌ
من ألف عام أو يزيدُ
يزيدُ يعرف حين أصدرَ
أمره لزياد أن يجتثَّ
ثدييْ أمِّها فى ضربتينِ
متى استهلَّت يتمَها

من يومها هجرتْ طفولتها
وطافت تسأل الأطيافَ
عن بلد الطوائف
كيف كان ملوكُهَا
يتساقطونَ
كما الطواويس الطروبة
حين يُطرى ريشَها الصيَّادُ
حينئذ
تطير لفخِّه المنصوبِ
فى أهدابه
فكأنَّ بينَ الصيد والصيَّادِ
مسألةَ اتِّفاقِ

كان قيصرُ فى انتظارى
قال ما شكواكَ
قلتُ من العروبة
قال هذا الجيشُ
فرساناً وأفراساً جميعاً
رهن أمركَ
غير أنَّكَ
شاعرُ العرب العظيمُ
فقلتُ حنجرتى لهم
لكنَّ سيفى يا مليكُ عليهمو
فاستنهض ابْنته الجميلةَ
ثم حرَّضها على خصرى
فأولتنى حميم الإلتصاقِ

وراقصتني
كانت الأنغام تأخذني إليها
ثم يُرجعني الحداءُ
إلى عنيزةَ
حرتُ
أيُّهما أريدُ
تحيَّرت منِّي الجوانحُ
بيد أنَّ جوارحي
هطلتْ على جيد الأميرةِ
حيث صارَ
لنهر نهديها انسياقي

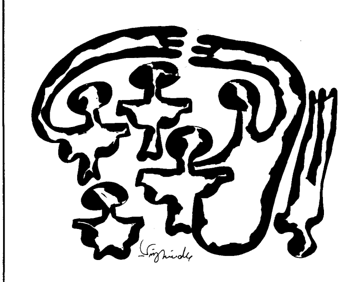
قطّةٌ روميَّةٌ كانت
وكنتُ أنا
أسير موائها الروميِّ
.أخبرتُ القصائدَ
عن مفاتنها
فقالت من يترجمني لها
روميَّة الشفتينِ
ضاعت مفرداتي
أبجديَّتيَ العريقة خنتُها
غيَّبت عن قلمي قراطيسي
وعن ألمي فمي
أعلنتُ عن كلمي انْشقاقي

مذْ رأيتُ الوجه منها
هالنى السحر المغيَّبُ
فى زوايا ثغرها الرومىِّ
مطليًّا
بأنبذة من الأعناب والتفَّاح والرمَّانِ
أنبذةً معتَّقة
من العصرِ الذى لا عصرَ يأتى قبلهُ
إذْ ذقتُها
دارت بىَ الشفتانِ
فوق ملاعب الأزمانِ

قالت لى بلاتينيَّةٍ فصحى
بلاتينيَّةِ الأصداءِ
شيئاً ما.. فغرتُ فمى
فراح عبيرها
فى أذنىَ اليمنى يدغدغنى
ويلعق شحمة اليسرى لسانٌ
لستُ أفهمهُ
ولكنِّى
أهيم بما عليه من اللعاقِ



نسيتُ فاطمةَ
وربَّات الخدور جميعهنَّ
ومن زحمتُ بعيرهنَّ
وقد أُميل بنا الغبيطُ
ومن عقرتُ مطيَّتى يوماً لهنَّ
نسيتُ أيَّامى القديمةَ بينهنَّ



وبنتُ قيصرَ
هذه الروميَّةُ الشقراءُ
زرقاءُ العيونِ
سليطةُ النظراتِ
تقدح نارها
وسعارها المصبوب صبًّا
فى وجاقى



أىُّ حلمٍ
فى ليالى الصيف متَّصلٍ
حييتُ بهِ
لكنَّ مشكَلة اللغات الأجنبيَّةِ
لم تزلْ
مثل الحصاة على لهاتى
حين تلثمنى الأميرةُ
لثمةً حرَّى تذوبُ
وحين ألثمها تذوبُ



وحين تنسلُّ الشفاه من الشفاهِ
تعود ثانيةً حصاتى للهاةِ
لكى تعوق الشعر فى حلَقى
فيشكونى القريضُ
بأنَّه ما كان يوماً
بالعيىِّ
ولا المعاقِ



تركتُ قرضَ الشعرِ
قد جهلتْ بزنطةُ من أنا
وأنا امرؤ القيس الأمير الشاعر الطمَّاحُ
للجوزاء أسكنها
وأغلق بابها خلفى
أفوت الشعرَ
من أجل الهوى المحمومِ
كان الشعر نصف ممالكى
والنصف كان العشقُ

بعتُ قصائدى من أجل عينيها
وكان المهرُ جنىَّ المرابطَ
فى مغارتىَ الأنيقةِ
عند وادى عبقرِ
لكنَّها
تلك اللعوبُ الأعجميَّةُ
أعرضتْ عنِّى
وردَّت لى صداقى



كنت وصّافاً
وكانَ الليلُ موصوفى
كموج البحرِ
أرخى سدله فوقى
بأنواع الهموم ليبتلى
فدفعتُه لـمّا تمطَّى
ثمَّ ناء بكلكلٍ
عنِّى بإصباحٍ
وما الإصباح منه بأمثلٍ
فالليلُ فى الأعماقِ
محبوك الدجى
لا ينجلى أبدًا

كسمراء تنقَّب وجهُها
بخمار خَزٍّ أسودِ
وتلفَّعت بعباءةٍ
من مخملٍ
يحكى الدياجير البهيمةَ
أُحصنتْ فى خيمةٍ
من جلد ثورٍ أسحمٍ
أوتادها الأبنوسُ
قد قبعتْ بظلٍّ خبائها
من خلف أستارٍ صفاقِ

كنتُ وصّافاً
وكان الليل موصوفى
وراويتى الثريّا
تقرأ الأشعار عنّى
للصباحات القصيّة عن عيونى
للصباحات التى فى أوّل الزمن البعيدِ
وراء قرص الشمسِ
تنمو كالأجنّةِ والبراعمِ
والفراشات الصغيرةِ
فى الشرانقِ

كان حولى الليلُ
كثباناً من الأشباحِ
قتلاى الذين تركتُهم ملء البطاحِ
تجمَّعوا بينى وبين الصبحِ
سدُّوا أفقه عنِّى
وسدُّوا عنه دربىْ ناظرىَّ
هتفتُ من يأسى بهِ
يا نورُ
يا نوَّارُ
هل أعيْتكَ من أكمام فجركَ
إنفجارة الانْبثاقِ

عرفتُ أنَّ الليل متنى
والحواشى
كلَّمتنى الريحُ
أنَّ الصبح واشى
والضحى قبرى المضىءُ
عرفتُ أنَّ الليلَ
قافيتى الأخيرةُ
ينتهى فى جرْسها الرنَّانِ
إيقاعى



عرفتُ بأنَّه
بحرى الذى أوغلتُ فيهِ
بلا انقطاعٍ
ليس من شطٍّ لهُ
أو ثمَّ قاع
إنَّه ليلٌ مديدٌ سرمدىٌّ
لا يقاطعه نهارٌ
ظلمةٌ تأتى إلىَّ
أخالها متبوعةً بالنورِ
تدلف فى عيونى
ثم لا نورٌ يليها
ثم تأتى ظلمةٌ أعتى
وتدلفُ
ثم لا نورٌ يليها

صرتُ كهفاً مصمتَ الظلماتِ
ذا بابين ليليّين جداً
منهما
تلج المساءاتُ الصغيرةُ
آنسات
كي تصَير إلى ليالٍ سيِّداتٍ
بالغاتٍ في القتامةِ
صرتُ
ملتجأ الدياجير الشريدةِ في الدجى
في جُنحهِ
يشتدُّ بي
لمضارب الأهل اشتياقي

قد عرفتُ بأنّنى قد بعتُ روحى
(مثل فاوست المحدَّث عنه جوتة)
حين بعتُ عروبتى
ففقأتُ أحداقَ القصائد
(مثل أوديب السفُكليسىِّ ذاكَ)
فأىُّ معنى للقصائدِ
عندما تضحى
مساكنَ للحروف السودِ
حيث البومُ
يُنشد للخفافيش الأغانى الحالكاتِ
وحيث جمهور الضفادعِ
يستعيد نقيقها المنقوعَ
فى وحل المساقى

إنزلقتُ
إلى الضلالات المموسقة الخيالِ
فما اهتدى أحدٌ
إلى ما يحتويه الشهدُ فى الأشعارِ
من سمٍّ بلاغىٍّ
دسستُ
رحيق ذاك السمِّ
فى أزهار بستانى
فذاق صنيعىَ الشعراءُ من بعدى
فأعجبهم
ألا ما كان أتعسهم
وأتعسه انزلاقى

كنتُ ضلّيلاً
أحدّثها غرائزكم
وأزعمُ
أنّنى أذكى فتيل قلوبكم
أستنطقُ الباه الذى تتكتّمونَ
وأدّعى
أنّى أعرِّى روحكم
للشمسِ
إنّى قد سئمتُ غباءكم
وسئمتُ خبثى كلَّهُ
نافقتكم
واللات والعزّى
إلى أن جفَّ
فى شفتى نفاقى

كنتُ أختلق انتصاراتى
وأيَّامى هزائمُ
كنتُ فحلاً
لا..
فزوجتىَ الغويَّةُ
أمُّ جندبٍ استجابت لابْن عبدةَ
صار علقمةٌ
هو الفحل الذى أودى
ببيتٍ من بيوتى
حينَ أنزلها
ببيتٍ من قصائدهِ
فعاجلها طلاقى

كنتُ أختلق انتصاراتى
وأيَّامى هزائمُ
أىُّ عمرٍ عشتهُ
أجرى وراء أوابد الصحراءِ
قيَّدها حصانى
يلهث الغلمان خلفى
أغتدى والطير فى وكناتها
من أجل ماذا يا ترى؟
ترفٌ سفيهٌ
أرقب الأيام تعدو فى حياتى
دونما هدفٍ عظيمٍ
مثلما تعدو كلابُ الصيدِ
أو خيل السباقِ

منافقاً حدَّثتُكم
عن جاهليِّتنا الجميلةِ
لم تكن إلا قفاراً منَ وهادِ
فى قفارِ من نفوسِ
فى الصحارى
ينشف القلبُ الطرىُّ
وتصبح الأرواحُ
مثل معابدِ للريحِ



تصفر فى حناياها
وتذرو الرمل فى ردهاتها
ويصير وجدان الذى يرتادها جلمود صخرٍ
حطَّه السيل المباغت من علٍ
فوق الجلاميد التى سبقتهُ
حتَّى أضحت الوديان فى أعماقهِ
جبلاً من القرميدِ
صلداً جامداً
ضد التأثُّر والخدوش والانفلاقِ

صحبتُه البدويَّ
تحت عباءتى
فوجدتُه فظاً بدائياً
فإن لم تأتِ معجزةٌ
تقشَّر عنه جلد الجاهليَّةِ
سوف ينقرض انْقراضَ الطلحِ
فى أرضٍ يبابِ
مات فيها الماء موتاً حاسماً
بالسيف فى كفِّ السرابِ
وأصبح اللون الخصيب الأخضر الشاراتِ
رقية كلِّ راقى

كنتُ أختلق انْتصاراتى
وأيَّامى هزائمُ
فتُّ قيصرَ
واهماً
أنِّى انتصرتُ عليهِ
ألبسنى حفيًّا
حلَّةً منسوجةً ذهباً
موشَّاةً بأحجار العقيقِ
ولم أكن أدرى
بأن السمَّ فيها نابُ ثعبانٍ
من العاج المكفَّت بالدمقسِ
يعضُّنى إذ أرتديها

آهِ..
لَم أعلمْ
بأنِّى قد سعيتُ
إلى هزيمتىَ الخليقةِ بى
سعيتُ إلى الحقيقةِ
فانتصارى
لم يكن أبداً
سوى
بعض اختلاقى



أنكرتْنى بعلبكُّ وأهلُها
زادت قروحى
فى طريقى للرجوعِ
تقيَّحت روحى
وراح الدودُ
يفقس فى تباريحى
ويفرش فوق أحلامى الصديدَ
وفى فمى ثقل اللسانُ
كأنَّه لبس الحديدَ



عرفتُ
أنَّ الموت من قلبى قريبٌ
أنَّ أنقرةَ البعيدةَ
قبرىَ الدانى
فقلتُ لجارتى
إنِّى مقيمٌ ما أقام عسيبُ
أنتِ غريبةٌ
وأناَ غريبٌ



تحت ظلٍّ الغربة الجبليَّة الأنداءِ
أرقد.. لا أقومُ
لعلَّنى أحظى
أخيراً بالسكوت وبالسكونِ
يموت عنِّى حلمىَ المجنونُ
أن أضحى مليكاً
للنساء جميعهنَّ
وللرجال جميعهم
للشعرِ
للكلمات والنغمات
للدنيا العريضة والخلودِ
وللبروق وللبيارقِ
للحدائق والحرائقِ

للخيال وللحقائقِ
للسيوف وللرقابِ
وللقلائد والجيودِ
وللقوافل والهوادجِ
للحداء وللحداة
وللمنازل والطلولِ
وللهضاب وللسحابِ
وللنخيل وللنجيلِ
وللظباء وللأسودِ
وللموارد والمراعي
والمضارب والمساربِ
والمهابط والمراقي

للسهول وللسهوبِ
وكلِّ رمل البيدِ
والريحِ المليئة بالقرنفل والخزامى
والصَّبابة والصَّبا
للخمر والنشوات والأقداحِ
للأحداقِ
للأسماعِ
للتاريخ يأخذني
وترجع وحدها عنِّي
نياقي

د/ أحمد تيمور

الثمن ١٠ ٤ قرشا